قبل إسداء النصيحة للآخرين...

24-1-2002

إن الكونغرس هو الذي منع الإصلاحات على مستوى التعليم و الصحة و برنامج المساعدات، و التي كانت ستعين ملايين المواطنين الذين يعيشون تحت عتبة الفقر. إن الكونغرس هو الذي يوفر الأسلحة التي تسمح للإسرائيل بارتكاب القتل الجماعي ضد الفلسطينيين و بلايين الدولارات التي تسمح لها بإقامة المستوطنات على الأرض المسروقة، بينما لا يخصص في نفس الوقت سوى جزء ضئيلا من المال لترقية المدن المهترئة المنتشرة عبر التراب الأمريكي.
إن قواتكم المسلحة مستعدة دائما لقصف دول أخرى و قلب أو تنصيب الأنظمة، لكنها عاجزة في نفس الوقت عن محاربة الجريمة المنظمة و توقيف أمراء المخدرات الذين يسيطرون في واقع الأمر على أجزاء كبيرة من المدن الأمريكية.

إلى توماس فريدمان، المعلق في نيويورك تايمز

سيد فريدمان،

لقد إطلعت على "مذكرتكم" (نيويورك تايمز عدد 12 ديسمبر) من الرئيس بوش إلى الشيخ صالح الشيخ وزير الشؤون الإسلامية السعودية. لقد سعدت لأنك كشفت عن إعتقادك الخاص و الذي مفاده أن العربية السعودية في نظر الولايات المتحدة ما هي إلا "محطة بنزين كبيرة ينبغي ضخها و الدفاع عنها لكن لا ينبغي أبدا التعامل معها بجد كمجتمع." (...)

إنني أختلف معك في زعمك أن مدارس العربية السعودية و آلاف المدارس الإسلامية و المنظمات الخيرية التي نمولها مسؤولة عن إختطاف آلاف الأطفال الأمريكيين من أوليائهم. و من خلال حكمكم هذا – الذي يربط بطريقة مباشرة السعودية بالإرهاب – فإنكم تشيرون إلى تهديد مفاده أن العربية السعودية ستعامل بالضبط مثل الإتحاد السوفييتي خلال الحرب الباردة. (...)

ليس هناك في المدارس السعودية و لا المنظمات الخيرية ما يعتبر غير المسلمين أقل شأنا من المسلمين أو أنه ينبغي إدخالهم للإسلام أو مواجهتهم. إذ لا معنى لأن يحصل مثل هذا، على اعتبار إننا غير مهتمين بخطابات الحقد. طبعا هناك مدرسون يحملون أفكارا متطرفة مثل ما هو حاصل في أي بلد و مهمة بلدينا طردهم من المدارس.

و إذا كان نظام المدرسة يؤدي إلى عنف يمارس من قبل طلبة يتبعون ذلك النظام فعلى أمريكا إذن كذلك أن تضع على رأس أولوياتها وضع حدلما هو شائع عندها. ثم أو لم تسجل عدة أحداث عنف في المدارس الأمريكية ؟ و حسب علمي لم يكن تشارلز وايتمن الطالب الجامعي الذي دخل مبنى الجامعة في تكساس في العام 1966 مدججا بالأسلحة و قتل 17 من زملاءه الطلبة، من خريجي المدرسة السعودية. كما أن مجزرة ثانوية كولومباين لم ترتكب من قبل طلبة مراهقين تلقوا تعليمهم الإبتدائي في الرياض. كما أن أتباع تشارلز مانسن الذين اعتقدوا بأن الأخير هو الإله و أطاعوا أوامره بالقتل طاعة عمياء لم يكونوا في مدارس الظهران. و لم يكن تيموثي ماكفايخ هو الآخر من رواد المدرسة الدينية. كما أن الآلاف الذين نفذوا أوامر القس جيم جونس بالإنتحار الجماعي من دون جدل في جونس تاون بجزيرة غويانا يوم 18 نوفمبر 1978 لم يتلقوا تعليمهم في هوفوف. إن نظامكم التربوي الذي أنتج هؤلاء المجانين هو الذي تحول إلى

عبد مخلص للذين نصبوا لأنفسهم طرق التأليه و التوحش – وكان دايفيد كوريش الذي أسس "أطفال الإله" و موسيس دايفيد و رون هوبارد و آخرون كثيرون كانوا من هذا الصنف.
فقبل إسداء النصيحة للآخرين عليك الإلتفات إلى ما يجري حولكم، و إلا فإنكم تصبحون عرضة لتهمة النفاق. و من حيث انتشار الأمية بين الكبار تأتي الولايات المتحدة في مرتبة متخلفة مقارنة بالعالم المتقدم. و حتى بلد مثل كوبا الذي سعت الولايات المتحدة لخنقه حتى الموت طيلة 42 عاما يتفوق على بلدكم في هذا المجال.
إن الكونغرس هو الذي منع الإصلاحات على مستوى التعليم و الصحة و برنامج المساعدات، و التي كانت ستعين ملايين المواطنين الذين يعيشون تحت عتبة الفقر. إن الكونغرس هو الذي يوفر الأسلحة التي تسمح للإسرائيل بارتكاب القتل الجماعي ضد الفلسطينيين و بلايين الدولارات التي تسمح لها بإقامة المستوطنات على الأرض المسروقة، بينما لا يخصص في نفس الوقت سوى جزء ضئيلا من المال لترقية المدن المهترئة المنتشرة عبر التراب الأمريكي.
إن قواتكم المسلحة مستعدة دائما لقصف دول أخرى و قلب أو تنصيب الأنظمة، لكنها عاجزة في نفس الوقت عن محاربة الجريمة المنظمة و توقيف أمراء المخدرات الذين يسيطرون في واقع الأمر على أجزاء كبيرة من المدن الأمريكية.
إنه لأمر مهم أن تنشروا آراءكم مع التعامل بإنصاف مع المواضيع التي أنتم بصدد انتقادها. إننا في السعودية نؤمن بالنظام التربوي الشامل الذي يشجع على التسامح. إنني شخصيا أتمنى إعادة هيكلة نظام التعليم لكن ليس للدواعي نفسها التي أشرت إليها، بل لجعله أحد الأنظمة الأكثر تطورا في العالم و الذي يضمن بأن ينافس مجتمعنا أكثر المجتمعات تطورا و فعالية.
و بالنسبة للسعوديين ال 15 الذين تقولون أنهم مسؤولون عن قتلى 11 سبتمبر، فإننا إذا استندنا إلى شريط ابن لادن الذي قدمه البنتاغون على أنه الدليل القاطع الذي يدين الرجل، فإن الشباب المشار إليهم ورطوا في لعبة لا يعلمون عنها سوى القليل – أو ربما لا شيء – و حتى إن علموا بما تم التخطيط له، فإنهم يمثلون أنفسهم كأفراد و أن منظماتهم و قادتهم أخرجوا من السعودية قبل فترة طويلة و كانو سيوضعون في السجن لو علمت السلطات ماذا كانوا يخططون. و عليه ليس من الإنصاف بل من الخطأ الفادح إنتقاد المملكة بسبب تصرفات أفراد. إنهم مسؤولون عن أعمال قاموا بها بصفة شخصية، لكن ليس الأمر كذلك بالنسبة لعناصر المارينز التي إرتكبت مجازر "ماي لي" أو الطيارين الذين القوا القنابل على هيروشيما و ناغازاكي. (...) لقد رفعت السعودية معاناة ملايين الفقراء في العالم بغظ النظر عن ديانتهم أو إنتماءاتهم. و كعضو أساسي في منظمة الأوبك ساهمت في إستقرار سعر النفط الأمر الذي رجع بالفائدة على دول متقدمة.
إننا لنتحسر على أرواح الذين قتلوا يوم 11 سبتمبر. كما أننا نتحسرعلى أرواح مئات الفلسطينيين الذين قتلوا و على الآلاف الذين تركوا معوقين بصفة دائمة خلال الإنتفاضة الحالية فقط. ليست مدارسنا هي التي تنشىء الشعور بالخيبة تجاه بلدكم بل الدعم غير القابل للوصف الذي يمنحه لإسرائيل. و لن تقتربوا حتى من فهم سبب الغضب الموجه إلى حكومتكم اللهم إلا إذا نظرتم إلى الأمر بطريقة منصفة.

بقلم:خالد المعينه، رئيس تحرير "عرب نيوز" العربية السعودية، المقال مترجم من الإنجليزي